خُطَّةُ العودة

من دروس حملة الحج لعام ١٤٣٩

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا، ونسأله -سبحانه وتعالى- القبول، نسأله أن نكون من الشّاكرين على هذه النّعمة العظيمة -الحمد لله- حملنا، ويسّر لنا، وأوصلنا، وأعادنا، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يتقبّلنا جميعًا، اللّهمّ آمين.

أكيد أنّ النّقاش اليوم سيكون حول خطّة العودة، وخطّة العودة هذه تتمثّل في الشّيء الّذي بقيت ثلاثة أيّام التّشريق، بالإضافة إلى يوم العيد تفعلينه؛ فإنّ العباد في يوم العيد رموا جمرة العقبة، وفي أيّام التّشريق الثلاثة رموا الجمار الثّلاثة، وكان من المفروض أن تكون أيّامهم مشغولة بتكبير الله.

وهذه الجمار الثّلاثة؛ إنّما هي كما هو معروف في الأثر مواطن رمي إبراهيم -عليه السّلام- للشّيطان حين وسوس له في ذبح ابنه، وإبراهيم -عليه السّلام- كما تعلمون قصّته مع هذا البيت عظيمة، وهذا البيت دائما يذكّرنا بإبراهيم عليه السّلام.

إسماعيل ابنه بقي هنا، هو وأمّه وهو صغير. شبّ إسماعيل، أتى إبراهيم، رأى في الرّؤيا من باب الابتلاء والاختبار أنّه يذبحه. والآن يأتي

موقف التّقوى الّذي هو مطلوب منّا؛ والتّقوى في كلّ حال **هي**: قرارك الّذي تتّخذه أثناء الصّراع؛ فالقرار الّذي ستأخذه، ستكون به إمّا تقيًّا وإمّا تكون به -والعياذ بالله- شقيًّا.

دعونا: نأتي بمثال بسيط لأجل أن نتصوّر هذا، وبعد ذلك نرجع للسّياق، فالآن سنفكّر فقط في التّقوى وسنترك قصّة إبراهيم.

ولاحظوا: أنّ التّقوى هي الّتي ابتدأت بها سورة الحجّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾(١).

المثال الّذي يتكرّر دائمًا معنا، مثلًا: موقفك وقت صلاة الفجر، موقفك في قيام اللّيل، أنت تضعين منبّه ساعتك على وقت صلاة الفجر، بمجرّد أن تسمعي صوت المنبّه، تسمعي صوتين: صوت يقول لك: (قومي للصّلاة!)، وصوت يقول لك: (زيدي غفوة!)؛ هذا صراع الإنسان باقٍ يعيش فيه طيلة حياته «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»(٢).

فالتّقوى هنا هي قرارك أن تقومي وأنّك لا تستجيبين للصّوت الثّاني!

فالآن نحن مشكلتنا في الصّوت الثّاني!

---

(١) الحج: ١.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٩).

دعونا: نرجع لإبراهيم -عليه السّلام- وتصوّروا الموقف معه: يُؤمر في رؤية أن يذبح ابنه، ويأخذ ابنه ويمتثل الأمر، ويذهب للمكان الّذي أُمر أن يذبح فيه.

هل قرأتم: مجرّ الكبش؟ إن صحّت هذه الرّواية فهي رواية تاريخيّة في منى وأنتم راجعون من القطار، هناك مكان عليه سهم: مجرّ الكبش.

هذا مجرّ الكبش هو المكان الّذي أُمر إبراهيم عليه السّلام -كما تروي الرّوايات التّاريخيّة- الّذي أُمر أن يذبح فيه ابنه؛ الّذي هو سيكون بعد جمرة العقبة.

تصوّري: إبراهيم -عليه السّلام- الآن وموقف التّقوى؟ يُؤمر بذلك فيستجيب، وكذلك ابنه يستجيب، عليهما السّلام. الآن هذه نفسه هي الّتي أخذت هذا القرار، لكن أين الصّراع؟ سيأتي الصّراع الآن:

يصل إلى هذا المكان، الّذي هو مكان رمي الجمرة الصّغرى، والشّيطان يوسوس له في كلّ التّفاصيل! هناك صوتان الآن: هناك صوت الإيمان القوي في داخل إبراهيم -عليه السّلام- وهناك صوت الشّيطان! القرار الآن هو: التّقوى، لكن إبراهيم -عليه السّلام- ما اكتفى بقرار التّقوى الّذي هو أن يمضي في سبيله؛ لا! وإنّما كذلك حمل من الأرض حجرات، ورجم بها الشّيطان.

ما الّذي انتصر الآن؟ انتصر الإيمان والتّقوى، وليس فقط انتصر الإيمان والتّقوى! وليس فقط أنّه مضى في سبيله! لا! وإنّما كذلك حمل هذه ورجم الشّيطان من أجل إلّا يعود، فهو يعني: إعلانًا للعداوة.

انتهينا من الجمرة الصّغرى. مثلها جاءه مرّة أخرى في الوسطى، وأنت تمشين على نفس الطّريق؛ لأنّ هذا تحديد مكان الوسطى والصّغرى والكبرى؛ إنّما هو بالوحي، أي أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أوحي إليه أنّها هذه هي أماكنها، وقد كانت العرب محافظة على أماكنها؛ لأنّ العرب كانت تحجّ، وترمي الجمار أيضًا، لكن كان هذا تأكيدًا أنّ هذا المكان صحيح.

انتهينا الآن من الصّغرى، والوسطى، إلى أن وصل إلى الكبرى، ورجمه، بعدها: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

المقصد: الآن دخل إبراهيم -عليه السّلام- في صراع، لكن مباشرة غلبت التّقوى بدون مناقشة؛ لأنّه نبيّ، لأنّه رسول.

الآن نحن بالنّسبة لنا نفس القضيّة؛ حين كنت ترمين الجمار، وتكبّرين الله في كلّ جمرة، معناه: أنّك أنت في قلبك تقولين: (أنّني سأنصر الحقّ على الباطل) ألسنا نحن نسمع صوتين؟ وفي الحديث: «إنَّ للشيطانِ لَمَّةً بابنِ آدمَ، وللمَلَكِ لَمَّةً»[2] يلمّ بقلبك ويقول لك: (افعل هكذا، افعل هكذا) في كلّ موقف حياة تحتاج فيه إلى قرار، كلّ موقف

---

(١) الصافات: ١٠٧.

(٢) صححه الألباني.

يحتاج إلى قرار لابدّ أن تسمعي صوتين، لكن ممكن أن يصل الإنسان أنّه لا يسمع أيّ صوت؛ لا يسمع إلّا صوت الحقّ في أمور معيّنة.

ولذلك في الحديث الّذي مرّ معنا: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» يعني: الّذي ينكر الفتنة تُنكت فيه نكتة بيضاء، وما تضرّه فتنة إلى قيام السّاعة في هذه المسألة، يعني: لو بقيت في صلاة الفجر تقومين، وتقومين، وتنصرين الحقّ؛ فإذًا ماذا سيحصل؟ سينتهي هذا الاختبار، وتنجحين فيه، ولا يبقى يُعاد عليك، لكن لأجل أن نصل إلى هذه الدّرجة لابدّ أن نعرف عدوّنا.

نحن من الجلسات السّابقة كنّا نقول: لابدّ أن تعرفي ربّنا، لابدّ أن تعرف ربّنا، وهذه إضافة الآن: كما يجب عليك أن تعرفي ربّنا؛ عليك أن تعرفي العدوّ.

نحتاج الآن إلى مصاحفكم، سنبدأ من **سورة إبراهيم**، الآية (٢٢):

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

هذه عند المفسّرين يسمّونها: "خطبة الشّيطان" وهو يخطب في أهل النّار. متى؟ ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، حين استقرّ أهل الجنّة في الجنّة -نسأل الله من فضله- واستقرّ أهل النّار في النّار. الشّيطان الآن يخطب في أهل النّار، يعني: الّذين استقرّوا في النّار.

دعونا: نمرّ على الآية جملة، جملة:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ **إذًا:** اعترف أنّ الله وعد النّاس ﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾، قال لهم مثلًا في وعوده -سبحانه وتعالى-: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[2] **مثلًا** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا﴾[3]، وكذا، وكذا، من الوعود الّتي في كتاب الله، وعدكم -سبحانه وتعالى- ﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ وبعد ذلك يصف نفسه الآن: ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ يعترف أنّه يَعِدُ ويخلف، **ثمّ لاحظي:** (الفاء) تدلّ على السّرعة، يعني: ما إن وعدتكم إلّا وأخلفتكم مباشرة! وكلّ مرّة يطمّعك بأنّك هكذا ستكونين أجمل! وهكذا ستكونين أحسن! وهكذا ستكونين أفضل! وهكذا ستكونين محبوبة! وهكذا ستكونين مقبولة! واتركي عنك هذا الشّرع لأجل أن تكوني مقبولة! وافعلي هذه المعصية ستصيرين محبوبة! وهكذا! ﴿وَعَدتُّكُمۡ﴾ فماذا؟ ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾!

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) الطلاق: ٢.

وبعد ذلك سيلبّسك القضيّة! يقول ماذا؟ ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ يعني: ليس له سلطان! ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾، سنرجع مرّة أخرى (للفاء): ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ يعني: ما أن دعوتكم إلّا واستجبتم مباشرة! وبسرعة أيضًا، فهذا حصل بسرعة!

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾، وبعد ذلك يقول لهم: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ يعني: أنتم قد أُعطيتم قدرة على الاختيار؛ وهذه القدرة الّتي عندنا على الاختيار مكوّنة من ثلاث عناصر، والشّيطان يعرفها:

العنصر الأوّل: الفطرة السّويّة: أنّنا معنا فطرة سويّة، وهذه الفطرة السّويّة مادّة ذهبيّة في النّفس الإنسانيّة، يعني: ذَهَبٌ؛ لأنّها في أصلها إذا ما حُرّفت، أو ما وقعت فيها إشكالات؛ تُبقي الحسن حسنًا، والقبيح قبيحًا. **إذًا:** هذا العنصر الأوّل للاختيار، يعني: لا يوجد اثنان يختلفان مثلًا، على أنّ العفو مع الإصلاح -العفو في مكانه الصّحيح- يريح العافي قبل أن يريح المعفي عنه! لأنّك حين تقرّر أن تعفو؛ فإنّك تزيله من بالك، ولا تقوم بجمعٍ للذّكريات وكلّ فترة تعيد على نفسك؛ فإنّ النّاس يعرفون هذا، يعني: هذا المستحسن: فطري! لكنّ الشّيطان لا يجعله مستحسنًا! ليس فقط شياطين الجنّ؛ إنّما مع التّعاون مع شياطين الإنس؛ يقلبون الحسن قبيحًا!

وأبسط مثال في هذا: المثال الّذي دائما يتكرّر علينا، وهو أنّ الإعلام **مثلا**، المسلسلات والأفلام، تقلب مشاعر الإنسان تجاه المستقبح، وتجعله حسنًا، والحسن تجعله قبيحًا!

مثاله: الآن تصوّري: نسأل الله أن يحفظنا جميعًا وذرارينا. حين تكون من ذرّيّتك، عرضك، تصوّري! وبعد ذلك تخرج مع أحد، وتقع في جريمة الزّنا؛ هذا بالنّسبة لك المصيبة العظمى!

لكن هذه نفسها الّتي ترى أنّ هذا على ابنتها يكون مصيبة عظمى! حين تشاهد الفيلم؛ تنظر للفيلم أو للمسلسل، وتكون البنت تريد أن تهرب مع الولد، وطبعًا يأتون لك بمشاعر في اللحظات الحاسمة، والأب سيكتشفها، فتجدين غالب النّاس متعاطفين مع البنت على أساس أنّها تهرب! فمعنى هذا: مجرّد التّعاطف يعني انقلاب الحسن إلى قبيح، والقبيح إلى حسن! كيف يحصل الانقلاب؟ يحصل الانقلاب بأنّه يدخل في قيمة جديدة، يعني صار من العدل أنّها تذهب معه! فصار تحت قيمة جديدة، يعني تركنا قيمة الحفاظ على العرض، وذهبنا إلى قيمة جديدة وصار من العدل أن تذهب معه!

وهذا ما يحدث حين يشاهد الشّباب أفلاما فيها شيء **مثل**: السّرقة، والبطل ذاهب ليسرق! أهمّ شيء يجعلونه البطل ذاهب ليسرق! فحين يذهب ليسرق وتأتي الشّرطة؛ يتمنّون أنّها لا تمسكه! فكيف يكون الاعتداء على المال ممكن أن يصبح حسنًا؟! فهذا هو التّلاعب بالفطرة السّويّة!

فالآن عندك ثلاثة أشياء تساعدك على أن تتّخذ قرارًا سليمًا، والشيطان يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ وأنت عندك القدرة على اتّخاذ قرارات سويّة، عندك الفطرة السّويّة الّتي هي المادّة الذّهبيّة الّتي عند النّاس، الّتي ليس لك يد فيها فقد جئت بها، وصغارك أتوا بها، ولو كانوا أولادًا حتّى شيوعيّين ملحدين سيأتون بهذه الفطرة السّويّة، يعني ما لأحد يد في تغييرها نفسها أوّل ما يأتي الإنسان، لكن بعد ذلك ممكن العبث فيها مثل الأمثلة الّتي ضربناها. فإذًا هذه هي المادّة الذّهبيّة الّتي عند الإنسان للاختيار.

العنصر الثّاني: عقل الإدراك: إذَا كان عندك فطرة سويّة؛ فإنّ هذه الفطرة السّويّة هي أصل العقل الإنساني. فيأتي الشّيء الثّاني: العقل الإنساني القادر على التّفكّر والتّمييز، يعني أنت الآن عندك مادّة الّتي هي: الفطرة السّويّة، ثمّ إنّ هذه المادّة هي الّتي نسمّيها: عقل الإدراك، وهي أصل قدرتك على التّفكير، والتّمييز بين الأشياء، فصار عندك أمران: فطرة سويّة، ثمّ إنّ عندك عقل.

ألسنا نحن هكذا؟ مثلًا اليوم حين تسمعين: (لعبة الحوت الأزرق) وإلى آخره هذا الكلام الّذي في النّهاية ينتحرون بسببه! ماذا يفعل هؤلاء؟! يتلاعبون بالعقل، يصير هذا ثقبًا في العقل، سيطرة على العقل، بأشكال وألوان.

المقصد الآن: أنت تأتي لأحدهم تقولين له: (أنت عاقل)، عاقل، يعني: تستطيع أن تأخذ قرارًا، القرار مبني على فطرتك السّويّة: المسلّمات، المستحسنات، المستقبحات.

فأنت قد خلقك ربّنا بهذه الخلقة، خلق الخلق كلّهم بهذه الطّريقة: عندهم فطرة سويّة، وعندهم عقل يميّزون به:

مثلًا: لو جاء أحدهم، ووضع لك النّار، وقال لك: (تعالي)؛ عقلك ماذا يقول؟ لن يقبلها! فهو بنفس الطّريقة. لكن حين نكبر؛ فإنّ الأشياء: لن تكون النّار نارًا؛ ستكون مغلّفة! مثل: حين يأتي الدّجّال!

أنتم تصوّروا: حين يأتي الدّجّال، وبعد ذلك يأتي معه بجنّة ونار؛ جنّته في حقيقتها نار، وناره في حقيقتها جنّة. كيف ستميّزين أنّ هذه النّار وهذه الجنّة؟

العنصر الثّالث: العلم: فصار عندك ثلاث عناصر تجعلك تميّزين بين الحقّ والباطل، أصلًا أنت عندك فطرة سويّة، وعندك عقل يستطيع أن يتفكّر، ويتدبّر في الأمور، والأمر الثّالث: أنت عندك علم، والنّاس يتوارثون العلم.

لكن الشّيطان يقول للنّاس في خطبته: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾؛ لأجل ذلك مباشرة يقول: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ لوموا أنفسكم الّتي مُكّنت من اختيار الحقّ! تستطيع أن تختار الحقّ أو تختار الباطل ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ لن أنجّيكم، ولن أساعدكم، لا تنادوني!

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ تصوّري الخذلان الّذي يحصل للإنسان، في حين أنّه يكون مطمئنّا!

دعوني أضرب لكم مثالًا بسيطًا جدًّا يُناسب الحجّ: نفترض أنّكم أتيتم من بلدكم، وهناك أحد ليس معه تصريح بالحجّ، فيأتي مثلًا، أحد من الحملة يقول له: (لا تهتمّ! فأنت إذَا ذهبت هناك سيجعلونك تمرّ)! هل أنت متأكّد؟ يقول له: (أنا متأكّد)! يحرم ويركب ويأتي إلى هنا، حين يأتي هنا عند الحدود في الجوازات يقولون له: (لا! أين تصريحك؟) فيبحث عنه: (يا فلان! يا فلان!) فلا يجده! ويركّبونه الطّائرة ويرجّعونه!

فالآن هو حنقه على من؟ على فلان، لكن في الحقيقة من الّذي يُلام عليه؟ هو نفسه! أنت كان لابدّ أن تكون عاقلًا! فقد كان النّاس هناك قبلك ورجعوا! ما الّذي يجعلك أنت مميّزًا؟! ما الّذي سيجعلهم يدخلونك وغيرك لا؟!

فالشّطان بهذه الطّريقة يغرّك، يغرّك، وحين تصل للموقف...﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾!

بعد ذلك انظري كذلك: ماذا يقول؟ ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾ على كلامه الآن أن كلّ عاصٍ سيكون فيه نسبة من الإشراك! لكنّه ليس الشّرك الّذي تتصوّرينه، الّذي معناه: أن يتوجّه الإنسان

بعباداته، وصلاته، لغير الله؛ لا! إنّما هنا الشّرك في باب عموم الطّاعة، وهذا سيرجعنا إلى التّقوى: أليس هناك صوت في قلبك يقول لك: (قم صلِّ)؟ وهناك في قلبك صوت يقول لك: (خذ أيضًا غفوة)؟ حين تترك الصّوت الّذي يقول لك: (قم صلِّ)، وتسمع الصّوت الّذي يقول لك: (خذ أيضًا غفوة)؛ سيكون حصل نوع من الشّرك فقد ذهبت لهذا! أطعت هذا بدلًا من أن تطيع صوت الحقّ!

وسيتبيّن لنا بالضّبط كيف تكون هذه الحال؟ وعلى من هذا الكلام؟ هكذا سنترك سورة إبراهيم.

لا تنسوا أبدًا: أنّ هذا الكلام في سورة إبراهيم؛ سورة إبراهيم، الّتي نحن بأنفسنا مرتبطون في الحجّ بإبراهيم -عليه السّلام-، فجاء في سورة إبراهيم هذا الخبر، الّذي هو: الخبر عن "خطبة الشّيطان في أهل النّار". وكأنّه يُقال: اجعلوا إبراهيم نموذجًا واضحًا لكم. خصوصًا وأنّكم رميتم الجمار؟ لو كلمة عامّة في التّقوى، ولو كلمة خاصّة في الانتصار على الشّيطان.

ولذلك انظري: فقط آخر سورة إبراهيم، الآية (٣٥)؛ لأجل أن تتصوّري أنّ هذا هو المطلوب: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن﴾؟ انظري كيف: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾[1]، ولو جمعتها مع الآية السّابقة؛ سيتبعه من؟ يعني: لو أنت رأيت خطبة إبليس، وكلام

(١) إبراهيم: ٣٥_٣٦.

إبراهيم -عليه السّلام-، النّاس سينقسمون إلى قسمين إمّا أن يتبعوا الشّيطان، وإمّا أن يتبعوا إبراهيم.

ثمّ انظري بعد ذلك ماذا يقول إبراهيم عليه السّلام؟ يقول: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ يعني: أنتم الآن لابدّ أن تتصوّروا كيف أنّ ﴿مِنِّى﴾، كيف أنّها تصير قطعة من إبراهيم عليه السّلام؟ **بمعنى:** أنّه ليس ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ تابع لي، وليس ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ من جماعتي، من ملّتي؛ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾. ﴿مِنِّى﴾ **هذا معناه:** قوّة الاتّصال بإبراهيم -عليه السّلام- ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ كأنّه قطعة منّي.

ولذلك مثلما بدأنا في الحجّ نتكلّم عن أنّ صلتنا عظيمة جدًّا بإبراهيم -عليه السّلام- ولذلك نقول في التّحيّات: (اللّهمّ صلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم) فنحن في قلوبنا ارتباط شديد؛ فإبراهيم -عليه السّلام- في الآية يقول: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ وَمَنۡ عَصَانِى﴾؟ لا زال الطّمع: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

ثمّ تأتي هذه القصّة الّتي نتكلّم عنها الآن في حجّنا: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ﴾ ما وصفه؟ ﴿غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[١]، وهذا بالضّبط الّذي فيه مشاعر الحجّاج؛ أنّهم يهوون إليه.

---

(١) إبراهيم: ٣٧.

﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى آخر السّياق. طبعا هذا كلام عظيم جدًّا!

لكن المهمّ أن نتصوّر: خطبة إبليس، ودعاء إبراهيم -عليه السّلام- وكيف أنّ إبراهيم -عليه السّلام- يجعلك منه في المتابعة، وكيف أنّ إبليس يتبرّأ من أتباعه، **انظري الفارق الشّاسع بين الحالتين:**

- إبليس يقول: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾، وبعد ذلك يتبرّأ بكلام صريح!

- وإبراهيم -عليه السّلام- ماذا يقول؟ ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾.

يعني: إبليس الّذي يتبعه؛ يخذله! وإبراهيم -عليه السّلام- يقول: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾، فما قال من جماعتي، ولا من حزبي، ولا من تابعي، ولا أيّ كلمة من هذه الكلمات الّتي تدلّ على المعنى، لكنّه يقول: ﴿مِنِّي﴾، وهذه كلمة عظيمة! تفخرين بها أنّك تكونين ممّن تابع إبراهيم عليه السّلام.

نحن بالنّسبة لنا فإنّ المتابعة ليست مباشرة؛ إنّما بواسطة الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- لأنّه: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾[1]، فالعباد معناها: يتبعون الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي ملّته ملّة إبراهيم عليه السّلام.

انتهينا من سورة إبراهيم...سنذهب مباشرة إلى الحجر بعد إبراهيم:

---

(١) الحج: ٣١.

في الحجر سيأتينا سؤال: لماذا يقول هذا الكلام؟ لماذا يأتي يوم القيامة والنّاس يكونون أهل النّار في النّار، وأهل الجنّة في الجنّة، يخطب فيهم هذه الخطبة؟ كأنّك تسألين: ما بداية القصّة؟ يأتي الجواب مباشرة في سورة الحجر.

البداية من سورة إبراهيم، يعني: سنأخذ: إبراهيم، والحجر، والنّحل؛ كلّها متتابعة تدور حول نفس القضيّة.

فإذًا: فهمنا سورة إبراهيم، وارتباطها بالحجّ، وكيف أنّ إبليس يخطب فيتبرّأ، ويدعو إبراهيم -عليه السّلام- فيرتبط بمن تابعه.

ما هي بداية قصّة إبليس الّتي أوصلته أن يكون عدوّنا لهذه الدّرجة؟ وتصير ثلاثة أيّام ونحن مشغولون نرجمه؛ وهذا ليس شخصيّا؛ وإنّما نحن نمشي على منهج إبراهيم -عليه السّلام- ففي المواطن الّتي رجم فيها إبراهيم -عليه السّلام- الشّيطان؛ نحن نرجم، ونحن معتقدون بهذا التّصرّف أنّنا ننتصر عليه. لكن هو ليس مسلسلًا في هذا المكان ولا أيّ شيء فهذه خرافات تأتي في وسط القضيّة!

دعونا: نذهب إلى الآية (٣٠) في سورة الحجر، ونرى ما بداية القصّة؟ **وهناك فائدة عظيمة:** أنّك تعرفين أنّ تسلسل السّور في القرآن: إنّما هو تسلسل يساعدك في الفهم، طبعًا فإنّ هناك خلاف: هل هو توقيفي؟ أم هو من فعل الصّحابة؟ لكن كلّما درست تتأكّدين أنّه توقيفي، المهمّ: أنّ ترتيب المصحف يساعدك على فهم الآيات، يعني: المعنى الّذي يأتي في هذه السّورة مجملًا؛ يأتي في السّورة الّتي بعدها،

يفصّل فيه جزء من المعنى -وإن شاء الله- أنتنّ ستتأكّدن من هذا بوضوح في تتابع السّور الثّلاثة.

ولأجل ذلك: مائدة الرّحمن القرآن، فالّذي لا يتغذّى قلبه منها؛ يموت! يموت القلب! بمعنى: أنّك أنت اغرف منها، اغرف منها، ولا تبخل على نفسك!

دعونا: نذهب للآية (٣٠) في سورة الحجر. في سياق ماذا الآية (٣٠)؟

القصّة المشهورة: خلق آدم -عليه السّلام- وإسجاد الملائكة له، وعصيان إبليس.

وهذه ملاحظة في الهامش جدًّا! يعني: نحن لسنا محتاجون أن يقول لنا النّاس نحن بدأنا من أين، لا نحتاج نظريّة دارون، ولا نحتاج من يقول إننا من الغبار الكوني، ولا من غيره؛ نحن نعرف بالضّبط نحن من أين أتينا، لا من تطوّر ولا من غيره:

ربّنا خلق آدم، وأسجد له الملائكة، فليس هناك عصر حجري! ولا أنّ النّاس ما كانوا يعرفون يتكلّمون! ولا أيّ شيء من هذا الكلام. إذًا أرادوا بالعصر الحجري أنّ النّاس كانوا يستعملون الحجارة في شؤونهم: هذا ليس فيه مانع، لكن إذًا أرادوا أنّ الإنسان كان لا يستطيع أن يتكلّم! ولا يستطيع أن يتفاعل مع الأشياء! فهذا باطل؛ لأنّه أوّل ما تسمعين عن خلق آدم في سورة البقرة؛ تسمعين: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[1]، وبعد

(١) البقرة: ٣١.

ذلك ربّنا أمره أن يخبر الملائكة بالأسماء، يعني: هذه ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾، لو تقرئين تفسيرها؛ أنا متأكّدة أنّه سيأتيك انبهار! لأنّه هناك بعض المفسّرين ذكروا من معاني: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾: أنّ كلّ شيء في الدّنيا كان، وسيكون؛ علّمه الله -عزّ وجلّ- آدم عليه السّلام، علّمه اسمه، اسم هذا الشّيء، كلّ شيء يكون له اسم، حتّى أسماء ذرّيته إلى أن تقوم السّاعة، فهذا شيء مبهر! ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾، نصفها؟ ربعها؟ ثلثها؟ ﴿كُلَّهَا﴾!

﴿كُلَّهَا﴾، **فمن تفسيرها:** أنّ كلّ شيء مسمّى؛ آدم -عليه السّلام- يعرفه، كلّ شيء مسمّى سواء كان مصنوعًا أو غير مصنوع! فتخيّلي: كم من نباتات الأرض؟! كلّها يعرف اسمها! كم من صناعات الأرض؟! كلّها يعرف اسمها! فدائمًا يشعرونك أنّ آدم، أو الجيل السّابق، أو الّذين ابتدأت بهم الأرض؛ إنّما هم مجموعة جُهّال! أو مجموعة متخلّفين! وكلّ هذا ضدّ كلام ربّ العالمين.

نسأل الله أن يعيننا على كلّ هذا الخلط الّذي دخل في نفوسنا تجاه الكون، وتجاه الحقائق!

والمشكلة: أنّنا ما اكتفينا بالقرآن مصدرًا! وقد ورد في الحديث: «لَيۡسَ مِنَّا مَنۡ لَمۡ يَتَغَنَّ بِالۡقُرۡآنِ»(١)، قال البخاري: "«يَتَغَنَّ»: يستغني به عن غيره" يستغني بالقرآن عن غيره، يعني: مصدر المعرفة عنده القرآن. هل

(١) أخرجه البخاري (٧١٢٩).

سيكون كلّ مصدر المعرفة: القرآن، عمّن سبق، وعمّا سيكون، عن حال الإنسان.

وهذا ليس له دخل، ليس له علاقة بالصّناعات، وغيرها، ليس له علاقة؛ الصّناعات وغيرها، هذه ليست من التّاريخ الإنساني، هذه ما يسمّى: بإعمار الأرض، نحن لا نتكلّم عن إعمار الأرض؛ فإعمار الأرض حقّ لكلّ إنسان، أنت تعمرها، وبعد ذلك يأتي الّذي بعدك يعمرها أكثر، والّذي بعدك، وهكذا؛ فإنّ هذه صناعات. بينما نحن نتكلّم عن إعمار النّفس بالحقائق: أنت من؟ وما أصلك؟ ومن أين أتيت؟ وإلى أين أنت ذاهب، ماذا يجب عليك أن تفعل؟ كلّ هذا! إنّما يكون من كلام الله.

ثمّ انظري بعد ذلك: كيف أنّ ربّنا يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[1]، وفي النّهاية النّظريّة الأخيرة، آخر نظريّة في وجود الإنسان: أنّ الكواكب حصل لها انفجار، ثمّ تكوّن الإنسان من غبارها!

ربّنا خلق آدم! وهنا يقول لك من غبار الكون! إذًا كنت من غبار الكون أين ستذهبين إذًا صرت غَبَرَة في النهاية؟! أخبريني؟! ففي النهاية لن تكون لك قيمة! وإنّما كلّ هذا تحايل! تحايل! تحايل! لأجل أنّك في النّهاية لا تقوم بالطّاعات والعبادات! لأجل أنّك في النّهاية لو ما عرفت أنت من أين أتيت؛ لن تصدّق إلى أين أنت ستذهب!

وهي ثلاث أسئلة مختصرة: من أين أتيت؟ إلى أين المصير؟ ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ فقط هذه هي الثلاثة! ولو صارت واضحة لحُلّت المشكلة.

---

(١) الإسراء: ٧٠.

ولذلك أوّل قصّة في ترتيب المصحف **هي**: قصّة بني آدم؛ لأجل أنّ تكون الإجابة واضحة على أيّ سائل؛ فإنّ: ربّنا خلق آدم وهو على كلّ شيء قدير -سبحانه وتعالى-، وأسجد له الملائكة، وعلّمه، وأنزله الأرض وهو يعرف كلّ شيء.

فكيف تتصوّرين أنّه ينزله الأرض ويتركه؟! وهو وظيفته أن يعبد ربّنا؟! فلابدّ أن يهيّئ له كلّ الظّروف لأجل أن يحصل هذا.

هذا كان في الهامش دعونا نرجع إلى كلامنا الأساسي:

الله -عزّ وجلّ- خلق آدم، أسجد له الملائكة، وقع السّجود من الملائكة أجمعين إلّا إبليس أبى أن يكون مع السّاجدين، حصل بينه وبين ربّ العالمين هذا الكلام الّذي هو موجود أمامنا، إلى أن نصل إلى الآية (٣٦): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾[١].

وبعد ذلك أقسم إبليس هنا، قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾[٢]، بقدرتك عليّ، ونفاذ سلطانك فيّ، لأقعدنّ لهم على صراطك المستقيم الّذي يسلكونه إلى الجنّة، معنى ذلك: أنّه أقسم بالله، وبقدرة الله؛ سأزيّن لهم، وأغوينّهم أجمعين! انظري قال: ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يعني: كلّ النّاس، ثمّ إنّه هو بنفسه استثنى! قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[٣] وهي تُقرأ بالاثنين: مُخْلِصين، ومُخْلَصين، معناها: هناك استثناء، أقسم أنّه

(١) الحجر: ٣٦_٣٧.
(٢) الحجر: ٣٩.
(٣) الحجر: ٤٠.

يُغويهم جميعًا، ما عدا المُخْلَصين منهم، المُخْلِصين، يعني: الّذين أخلَصوا لله فخُلّصوا.

ربّنا ردّ عليه، ماذا قال له: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾[١] يعني: الله -عزّ وجلّ- جعلها سنّة، ما هي؟ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾: هذه هي السّنّة، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

نرجع مرّة أخرى للخطبة، يعني في عقولكنّ: اِئْتِينَ بخطبة إبليس في أهل النّار: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾.

وهنا: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ إلّا من؟ ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

وهو يقول لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾.

وربّنا هنا قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾. الّذي سمع كلامك، فهو الّذي سمع الكلام!

وفي الآية هناك المَخرج: أن تكون مخلصًا لله، يعني: هذه بداية المخرج الآن، أن تكون مخلصًا لله.

---

(١) الحجر: ٤١.

مخلصًا لله، **بكلام مختصر:** مشغول بطلب رضا الله؛ لأنّه هو يأتي يزنّ عليك، يزنّ عليك: (افعل! افعل! افعل!) ويكرّر عليك، وسنرى: كما في سورة الأعراف، أنّه ما له إلّا الوسوسة!

لكن مقصدي الآن: أنّه يزنّ، يزنّ عليك، وأنت بين اختيارين:

- تطلب رضا الله، وما همّك إلّا رضا الله.
- أم تريد أن تنتصر نفسك؟ أم تريد هواك؟ ماذا تريد؟ كأنّه هذا هو.

فالمُخْلِصين، أو المُخْلَصين، يعني: الّذين أُخلِصت قلوبهم في طلب رضا لله؛ هذا الّذي يشغلهم.

وإنّنا حين نأتي للحجّ، وعلامة القبول؛ سنجد أنّ هذه أهمّ علامة للقبول: أن يكون الإنسان وجهة قلبه أصبحت إلى الله، إلى طلب رضاه.

انظري: ولو شبرًا تقدّم الإنسان في هذا المعنى؛ يكون قد حجّ حجًّا -إن شاء الله- مقبولًا. بمعنى: أنّه حين ترجع للبلد وتمشي خطوة في العناية بالآخرة وتقديمها عن الدّنيا، العناية برضا لله، ودفع وسواس الشّيطان؛ تكون هذه علامة القبول، **وهي كما يسمّيها أهل العلم:** زيادة الإيمان.

زيادة الإيمان يعني زيادة التّصديق، واليقين، بربّ العالمين؛ زيادة اليقين الّذي يسبّب زيادة طلب رضا الله. ونحن لن نقدّر هذا بأمور معيّنة، ولا بأعمال معيّنة، لا تجعل المسألة محصورة في أعمال معيّنة؛ لأنّه أكيد وأنت في وقت التّفرّغ للطّاعة غير حين تكونين غير متفرّغة

للطّاعة، لكن القضيّة أنّني أنا كنت مهووسة مثلًا بشيء من أشياء الدّنيا: ما أطمئنّ إلّا إذَا اشتريت، ما أطمئنّ إلّا إذَا زرت مثلًا كذا، المهمّ أيّ شيء من أشياء الدّنيا؛ ارجع وهذه الأشياء الّتي في الدّنيا كانت تلمع، انطفأت قليلًا.

ونحن قد كرّرنا: ليس المقصود لك أنّك أنت ما تعيش الحياة؛ عِش الحياة وأنت مقبل على الله، مدبر عن الدّنيا، عِشها!

أنتنّ حين ترجعن إلى البلد، سيكون دوام المدارس؛ بعد أسبوع، هل ترين الطّلاّب وهم ذاهبون إلى المدارس؟ هل هم مبسوطون وهم ذاهبون إلى المدارس؟ لا، لكنّهم يذهبنا! وكذلك يدرسون! وكذلك يريدون أن ينجحوا! لكن ينتظرون أن تنتهي الدراسة! هل ترين كيف يعيشون في المدارس؟! أنت عِش الدّنيا مثلها! تريد أن تنجح، ومضطر أن تعيش فيها! وتنتظرها تنتهي بالسّلامة؛ فهذه المشاعر، يعني هناك الطّالب حين يذهب إلى المدرسة فإنّه لا يمتنع عن الأكل والشّراب والنّوم؛ وإنّما عادي ينام ويأكل ويشرب! ويذهب إلى مدرسته ويرجع منها وكلّ شيء! ويمارس حياته الطّبيعيّة وينزل يفطر في وسط الاستراحة وكلّ شيء! فأنت كلّ شيء مارسه طبيعي، لكن مع انتظار أن ننتهي منها بالسّلامة، مع انتظار أن ننجح فيها، مع نظرة لها أنّها اختبار: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]؛ فإنّها لو كانت مستقرّا لك لكان هنّأك الله فيها، لكنّها ليس مستقرّا! وكلّ يوم نقول لأبنائنا: (كلّها فترة قليلة! كلّها كم

(١) الملك: ٢.

سنة!)، ونحن ماذا نقول عن أنفسنا؟ كذلك: (هي كلّها كم سنة وانتهينا!) وانظري النّاس كيف هم في الحجّ؟ متقدّمون ومتأخّرون! متعجّلون ومتأخّرون! هكذا هي الحياة: هناك أناس تقدّموا عنّا، ونحن لن نطيل بعدهم كثيرًا، وانظري كيف هي أربعة وعشرون ساعة ومضت كالهواء! هكذا بالضّبط الدّنيا هكذا! أناس سبقونا ونحن سنلحق بهم، فقط!

ونحن فيها لسنا بالمستمتعين، ولا بالمنكوبين نبكي طول اللّيل والنّهار! لأنّ الطّالب في المدرسة لابدّ أن يقبل أنّه في المدرسة! ويعيش، ويدرس، ويقوم بكلّ الأشياء المطلوبة منه!

فأنت تصوّري هكذا في الحياة: أنت ستعيشين، وتقومين بكلّ وظائفك، لكن أنت لا تحسّي بأنّك في الجنّة!

اجعلي الدّنيا بنفسها متقلّصة في نفسك: تقومين بوظيفتك، وأنت تحبّين ما وراءها. الآن الأبناء يحبّون النّجاح، وأنت أَحبّي النّجاح: فإنّ حبّ النّجاح يحمّسك أنّك تدرسين، يحمّسك لكن ليست هي نفسها، يعني: لن يبيت في المدرسة: فالّذي لن يكون مخلصًا لن يبيت في المدرسة: فهذا هو المقصود، ولا يتمنّى أن يرسب لأجل أن يعيد السّنة: فإنّها بهذه المشاعر: تحبّين النّجاح ولأجل ذلك تريدين أن تمشي سريعًا، وهذا هو المقصود: أنّك أنت تنجح. تحبّ أن تنجح فتقوم بما يجب عليك، لكن نفس الدّنيا والافتتان بها، **هي هذه المشكلة:** بهجتها تصير عالية!

ولذلك فقد ورد فيها أحاديث كثيرة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(١)، ستعيش! يعني: هل الغريب أو عابر السّبيل سيموت؟

لا، سيعيش! وانظري يمكن يقرّب المسألة أكثر: أنّه لو أنا عندي طالب ماجستير أو دكتوراه الآن، ويهمّه كما يهمّ أيّ أحد أن ينجح في هذا؛ كلّ الأيّام الّتي يحضّر نفسه فيها لمناقشة رسالته، سيكون مشغولًا! ينام ويقوم ويأكل ويشرب، لكنّ كلّ قوّته لهذا!!

فهذا هو المقصود: أن تصير كلّ قوّتك لهذا، والمباهج الباقية يقلّ طعمها، ولا تريد أن تضيع وقتك، ولا تريد كذا، ولا تريد كذا؛ بهذه الطّريقة؛ لأنّه هناك ما هو مُبهج أكثر، ثمّ إنّ الّذين من حول طالب الماجستير والدّكتوراه يقولون له: (نعم، الله يساعدك تفرّغ لرسالتك)، **فإذًا**: هو يتفرّغ لرسالته، والنّاس الّذين من حوله يساعدونه على أن يتفرّغ لرسالته؛ لأنّ هذا نجاح عظيم! فإنّ مثله تصوّري: لقاء ربّ العالمين.

ولذلك: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٢)، هذا لا يأتي بالاكتئاب أبدًا؛ إنّما يأتي فقط بـ:

- إلى أين تذهب بوصلتك؟
- لأيّ اتّجاه تتّجه؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٩).

(٢) آل عمران: ١٨٥.

- ما هو الشّيء الّذي تستقبلينه؟
- ما هو الشّيء الّذي حين تنجزينه تشعرين بأنّك سعيدة؟
- ما هو الشّيء الّذي تتمنّين أن تكونيه؟ لأنّنا طول الوقت: (أمانينا! أمانينا!) دائرة هنا!

وأنت الآن لو قيل لك: (مثل جبل أُحد ذهبًا) ماذا تتمنّين؟ لو نحن صادقون مع أنفسنا فنحن نعرف ماذا نتمنّى لو مثل جبل أُحد ذهبًا! النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، لَسَرَّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ»[1]، فالفرق سيصير في الأماني، في الطّموح، في الرّغبات، في الاستقبال، أين؟ أستقبل ماذا؟ مع أنّك أنت تعيش وتأكل وتشرب، لا بأس، لكن لا تشعر باكتئاب؛ لأنّ الله قال ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2].

ولذلك الإيمان مع القضاء والقدر شيء عظيم! لأنّ الإنسان حين يقوى إيمانه، وينزل عليه قضاء من السّماء؛ بالضّبط مثل: حين ترمي كرة حديديّة على مخدّة هوائيّة، تصوّري هذا الموقف الآن: لو كان هناك مخدّة هوائيّة، ورمينا كرة حديديّة من فوق، ماذا سيحصل؟ هل سينكسر البلاط؟ لا، لماذا؟ لأنّ المخدّة الهوائيّة ستمتصّ القوّة. لكن تصوّري: لو لم يكن هناك إيمان ونزل القضاء والقدر، يعني: نزلت هذه

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٧).
(٢) الرعد: ٢٨.

الكرة الحديديّة على القلب مباشرة، على البلاط مباشرة، ماذا سيحصل؟ سينكسر!

ولذلك كلّما زاد الإيمان، كلّما قدرت على أن تصبر على القضاء والقدر، ويكون معك من الإيمان ما يهدّئك، ويشرح صدرك، ومن ثمّ نبتعد عن الاكتئاب، وعن الأحزان، وكلّما جاء الألم دفعه الإيمان.

دعونا نعود: مرّة أخرى لكلام إبليس، وقد عرفنا أنّه قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1]؛ **فإذًا:** عرفنا أنّ سلطان إبليس على الغاوين، أهمّ شيء لا تُسلّطه عليك! كن من المخلِصين لأجل أن لا تسلّطه عليك.

وسنرى أيضًا: وصفًا آخر يبيّن لنا، سنذهب الآن مباشرة بعدها لسورة النّحل: الآية (٩٨): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ رجعنا مرّة أخرى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ على من؟ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[3].

---

(١) الحجر: ٤١_٤٢.
(٢) النحل: ٩٨_٩٩.
(٣) النحل: ١٠٠.

انظري: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ معناها: أنّ قراءة القرآن وفهمه؛ أحد العوامل الّتي تجعلك قويّا تجاه الشّيطان ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ فربّنا يقرّر أنّه ليس له سلطان، على من؟ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فهم قد ﴿ءَامَنُواْ﴾.

فهذه هي قضيّتنا: ﴿ءَامَنُواْ﴾، يعني: كلّ يوم يزدادون معرفة بالله، كلّ يوم يزدادون معرفة بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيتابعونه، ومن ثمّ حضّروا أنفسهم للثّلاثة أسئلة المهمّة الّتي يعيش النّاس في الحياة، وينتظرون أن يُسألوا عنها ويُختبروا؛ أنت عندك ثلاث أسئلة مطلوب منك أن تقضي الحياة في تعلّمها: من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك؟

وقد ورد في الحديث الصّحيح أنّ المرء يُسأَل في قبره فيُجيب: «مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فيسأله المَلك: (وَمَا يُدْرِيكَ؟). يعني: ماذا فعلت لأجل أن تكون ثابتًا بهذه الطّريقة؟ «فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»[1]، فهذا على تعبيرنا: (الرّوشتّة)، فهذا هو الطّريق، ليس هناك غيره، اقرأ كتاب الله وافهمه، وستكون من ثمّ مؤمنًا مصدّقًا: «فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ».

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩).

فإذًا: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فهذه **هي**: العلامة على الإيمان.

فالعلامة على الإيمان: أنّك مطمئنّ بالله، مطمئنّ: (ما يأتي ربّنا إلّا بالخير، ما يأتي إلّا بالخير، ربّنا ربّ الخير) مطمئنّ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾ على من؟ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾.

دعونا نرى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ ويكونون: ﴿بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ ماذا تكون أفعالهم؟ كيف يكون حالهم؟ فالآن نحن وصلنا إلى أنّ هؤلاء المؤمنين كما في مجموع الكلام أنهم: مخلَصين، مخلِصين، **بكلام مختصر**: قبلتهم الآخرة، يعيشون الدّنيا، لكن يعيشونها: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، سارعوا إلى: ﴿جَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، يعني: يعيشون حياتهم من أجل أن يصلوا إلى رضا ربّهم، ففي كلّ شيء همّهم: (ما الّذي يرضيك؟ دلّني إلى ما يرضيك)، **فهؤلاء هم**: المخلِصين، المخلَصين؛ وبعد ذلك عرفنا أنّهم يقرؤون القرآن: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾، وعرفنا أنّهم: ﴿ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾. **فإذًا**: هذه هي صفاتهم.

دعونا نرى الطّرف الثّاني الآن: سنرجع إلى **الأعراف**، فهذه الثلاث سور متّصلة: **إبراهيم، والحجر، والنّحل**، كلّها تصف لك: أنّ الشّيطان

(١) الحديد: ٢١.

ما له سلطان إلّا على هؤلاء القوم، فأنت لا تجعل للشّيطان عليك سلطانًا، لأنّه في النهاية سيتبرّأ، سيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾! فأنت لا تجعل له سلطانًا؛ وكلّ هذا في قرارك في التّقوى: أنّك تصير تقيًّا، لا تسمع الصّوت الثّاني، وحين تحتار بين الصّوتين، ولا تعرف أيّهما صوت الرّحمن من صوت الشّيطان، استغث! استغث! استغث! استغث بربّ العالمين: (أنّه دلّني إلى ما يرضيك فقط، دلّني إلى ما يرضيك، أنا ما يهمّني إلّا الّذي يرضيك)، لا أن يأتي جماعة يستخيرون **مثلا**، دعاء الاستخارة المشهور، وبعد ذلك في النهاية يقولون: (ويا رب اختر لي هو)! هذا الّذي يريدونه! لماذا استخرت إذًا؟! أنت اطلبي من ربّنا يدلّك على الّذي يرضيه.

يعني: ليس هناك كذب مع ربّ العالمين! الله مطّلع على أفئدة النّاس، أنت استخرت لأجل أن تصلي إلى المسألة الّتي تريدينها على هواك؟! أو أنّك تستخيرين لأجل أن تقولي لربّ العالمين: (اختر لي ما يرضيك، ورضّني به، رضّني)؟ فإنّه لو رضّاك الله -عزّ وجلّ- لانتهى الأمر! الله يخرّجنا من هوانا، الله يعيننا! الله يخرّجنا، أستغفر الله العظيم.

دعونا نذهب: إلى **الأعراف** الآن، و**الأعراف** ستكون في ضمن قصّة آدم أيضًا، لكن سنرى صفة للطّرف الثّاني، يعني: نحن هكذا سنجيب: المخلِصين، المخلَصين، الّذين يقرؤون القرآن، المؤمنين، المتوكّلين؛ هذه صفة أتباع إبراهيم -عليه السّلام- وأتباع الأنبياء. **الطرف الثّاني:** الّذين يصيرون مشركين والشّيطان له عليهم سلطان؟ سنرى ما هي قضيّتهم؟

دعونا نصل: إلى الآية (١٥) و (١٦) و(١٧)، في نفس قصّة آدم في **الأعراف**: وأنتم على كلّ حال، لو تابعتم؛ **فهي**: سبع مواطن وردت فيها قصّة آدم، ابتداء من **سورة البقرة**، وانتهاء بـ **طه**؛ كلّ هذه المواطن فيها أخبار مهمّة جدًّا عنك كإنسان، يعني: في بداية الخليقة، وما هي الأمور المهمّة؟ لأنّه في **البقرة**، وفي **طه**، ربّنا يُخبرنا بعد الإهباط، أخبر آدم عليه السّلام؛ وهذا الخبر لكلّ ذريّته: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾[1]، فلا تذهب لا يمنة ولا يسرة؛ اتّبع الهدى تحلّ المشكلة، **في مقابل**: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[2]، **فالمقصد**: أنّ الطّريق مستقيم.

لكن دعونا نرى الآن: صفة أولياء الشّيطان: لهم صفة واضحة جدًّا في الآيات. أخبروني ما هي الصّفة؟ لا يشكرون

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[3]

لا يشعرون بنعمة الله، ومن ثمّ لا يشكرون النّعمة، يعني: الشّيطان يجعلك لا ترضى على أيّ شيء أبدًا! وطوال الوقت: هل من مزيد؟! هل من مزيد؟! وكلّما تقدّمتم في العمر، وزادت تجربتكم؛ كلّما تيقّنتم أنّه

---

(١) طه: ١٢٣.
(٢) طه: ١٢٤_١٢٦.
(٣) الأعراف: ١٧.

ليس هناك شيء يأتي بالشّقاء للإنسان إلّا عدم الرّضا! يعني: هذا السّبب الوحيد الفريد الّذي يأتي بالشّقاء للإنسان أنّه لا يرضى! ومتى ما رضي جاءته السّعادة مباشرة.

فالشّيطان حريص على أن تبقى شقيًّا! حريص على ذلك، فما يُرضيك؛ يقلّب لك الأمور حتّى لا ترى إلّا العيب والنّقص فيها! والدّنيا أصلًا بلاءها: النّقص! ولو ظننت في يوم من الأيّام أنّ الدّنيا تأتيك على وجه الكمال، فقد أخطأت في حقّ الدّنيا وحقّ معرفتها؛ إنّما لابدّ أن يأتي النّقص، فالدّنيا ليست دار كمال!

فيأتي الشّيطان وأنت ربّنا قد أعطاك، فلا يرضّيك عمّا عندك!

ولذلك الشّيطان يقول: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾، بمعنى: أنّ الإنسان حين يُنعَم عليه بنعمة؛ لا ينظر إليها إلّا بعين النّقد! واليوم هناك ثقافة منتشرة للأسف بين النّساء والرّجال، وفي غالب المجتمعات: (أنا أنتقد إذًا أنا موجود! وكلّما زدت انتقادًا، يعني أنا إنسان راقٍ وأفهم وليس كلّ شيء يرضّيني! وأنّ لي ذوق رفيع! وليس كلّ شيء يناسبني!) وهكذا ينفخ الإنسان في نفسه حتّى أنّه ما يرضى على نِعَمِ الله!

ولا نحتاج أن نقول: دعونا ننظر يمنة ويسرة، الأقوام كان منعمًا عليهم، فوقع عليهم ما تعرفون! وكلّ يوم أنت تزداد عدم رضا، **معناها:** كلّ يوم تجعل لله عليك سلطانا في أن يأخذ النّعمة الّتي في يدك، لأنّه:

﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾(١)، شديد! وإنّ شديد هذا يكون بعد الإمهال والحلم، ونحن طوال الوقت نخطّط: (أبناؤنا ماذا سيكون وضعهم؟ ماذا نفعل لهم؟ ماذا نشتري لهم؟)! بهذه الطّريقة! على بالنا أنّ الأمور ستبقى على حالها كما هي! وأنتم تعرفون أنّه مثلًا: الّذين حضروا الحرب اللّبنانيّة؛ يعرفون كيف أنّ اللّيرة اللّبنانيّة حين وقعت الحرب، كانت حتّى لا تساوي الورق الّذي هو مطبوع عليها! كانت ليرة غرفة مثل هذه لا تأتي بريال! وكلّ شيء سقط، لا أراضٍ صار لها قيمة، ولا شيء، ولا شيء! وأنتنّ تعرفن هذا الأمر.

فالّذي تريدين به أن تخطّطي لمستقبل أبنائك، اشكري الله؛ سيكون المزيد، سيكون المزيد؛ ولذلك نحن نقرأ في **سورة الكهف**: ﴿كَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾(٢)، فبدلًا من أن نخطّط لهم للدّنيا، لا بأس، في هذا الكلام: التّوازن مطلوب، لا أعني أنّنا لن نفعل لهم في الدّنيا إذًا تيسّرت لنا، فعلنا، لكن لا تثقي فيما تركته! لأنّ هذا الّذي بالشّيء الضّخم يصبح بعد ذلك لا شيء! لا شيء! ثمّ إنّ لا شيء يصبح في دقائق -في ثوانٍ! يعني لا تحتاج الانتقالة له- شيئًا كثيرًا! وأنتنّ تعرفن هذه الأشياء، واقرؤوا فقط في التّاريخ المعاصر قبل أن تقرؤوا في التّاريخ القديم، وتعرفن كيف أنّ النّاس يكونون آمنين سالمين، وبعد ذلك يبيتون يومهم ويصبحون على شأن آخر! نسأل الله أن يحفظنا، ويحفظ ديارنا وديار المسلمين، ويجعلنا من الشّاكرين! اشكري وعلّمي أبنائك الشّكر، ارضي

---

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) الكهف: ٨٢.

وعلّميهم الرّضا، سيُبقي الله عليك النّعمة، لكن أنت لا تكونني راضية وكثيرة الانتقاد، وكذلك ترين أنّ كثرة الانتقاد من الوجاهة والكمال! فالنّتيجة أنت في انتقادك تسبّ نعمة الله! تسبّ نعمة الله! لأنّ الّذي وهب وأعطى هو الله في الحقيقة، فما نتعدّى على الله العظيم، الكريم، الرّحيم، الّذي خصّنا.

وأظنّ أنّكنّ في الحجّ رأيتنّ مناظر كافية! أنتنّ انظرن في النّاس كيف هي أوضاعهم؟! وكيف هي أحوالهم؟! وكيف أنّهم مع هذا شاكرين، يعني: تعطيهم اللّقمة القليلة يتوجّهون لربّ العالمين بالحمد والشّكر، تعينينهم إعانة بسيطة، فيبتهلون لله بالثّناء، ونحن الله مُنعم علينا بكلّ شيء، لكن الله يعيننا على التّقصير في الشّكر!

فالمقصد الآن: أنّ ما نستقبل من حياتنا بعد هذه النّعمة العظيمة في تيسير الحجّ، ونسأل الله -عزّ وجلّ- كما يسّر أن يقبل منّا أجمعين، وأن يجعله حجًّا مبرورًا، وذنبًا مغفورًا، ويغفر لنا التّقصير الّذي وقع منّا في كلّ موطن من مواطن هذا العمل العظيم. **الشّهادة والدّلالة الّتي ستدلّنا على الاستقامة هي أن نكون:**

- في زيادة من الإيمان.
- طامعين في معرفة الرّحمن.
- وفي طلب رضاه، راضين عنه طالبين لرضاه.

زيادة الإيمان، **يدلّ عليها:** الطّمع في معرفة الرّحمن، يعني: أنت طامعة كلّ يوم تزيدين معرفة بالله، وتكونين راضية عن الله، طالبة أن يرضى الله عنك، شاكرة لله.

والتّعبير عن الشّكر لله يبتدئ بقلب يعترف أنّ النّعم من الله وحده، وحده ولا تذكري غيره، وإذَا تكلّمت عن تيسير الحجّ، لا تأتِ بسيرة الحملة أبدًا بكلمة، بالذّات هذه الأيّام الّتي تقدم عليك، الّتي هي أوّل عودتك، لا تأتِ بسيرة الحملة بكلمة، كلّ الّذي ستقولينه: (ربّنا يسّر، ربّنا سهّل، كلّ التّيسير من الله، كلّ التّسهيل من الله، كلّ العطيّة من الله، حملنا الله، أوصلنا الله، يسّر لنا الله، أطعمنا الله، سقانا الله، وفّقنا الله) لابدّ أن يرى الله منك أنّك معترفة بنعمته وحده، وحده لا شريك له.

أنت ستقولين لي: (ومن لا يشكر النّاس لا يشكر الله) صحيح كلامك، لكن الآن شكر النّاس سيكون إذَا كنت تريدين أن تشكريهم؛ ستشكرينهم هم في ساعتها وينتهي شأنهم! ألم يُسدك معروفًا؟ وقتما يُسديك تقولين له: (جزاك الله خيرًا)؛ لأجل أن يكون الأجر عظيمًا، ثمّ إذَا قلت له: (جزاك الله خيرًا)؛ التفتي عنه تمامًا! تمامًا! وتوجّهي واجعلي قبلتك لربّ العالمين، وحين يأتي أحد السّنة القادمة يستشيرك يذهب مع مَن؟ لا بأس، قولي الحقّ، ونبّهيهم، وأنت تتكلّمين قولي -أنا الآن أبحث عن توحيدك، أهمّ شيء توحيدك! -: (إنّ ربّنا هو الّذي يحمل النّاس، وإنّ ربّنا الّذي يوصلهم، وإنّ ربّنا الّذي يطعمهم، وإنّ ربّنا هو الّذي يسقيهم، وإنّ ربّنا هو الّذي يسهّل، وإنّه على قدر ما شعرتم بالتّيسير،

وشعر أناس كثيرون بالتّيسير؛ فإنّ هناك أناس آخرون ما تيسّرت عليهم، لكن هذا اختيار ربّ العالمين، يعني: أناس خرجوا بعد الفجر، وصلوا إلى عرفة عند السّادسة! يعني: قبل أن تشرق الشّمس! يعني: كلّ المسافة كانت نصف ساعة من منى إلى عرفة! وأناس خرجوا السّابعة ما وصلوا إلّا عند الحادية عشرة إلى عرفة! فإنّ هذا من ربّ العالمين، هؤلاء حملهم الله، وهؤلاء حملهم الله، كما أراد الله! ليس لنا علاقة!

ثمّ إنّ هؤلاء من نفس الحملة، وهؤلاء من نفس الحملة، لكن هؤلاء تيسّرت لهم، وهؤلاء ما تيسّرت لهم! وأناس في مزدلفة خرجوا السّاعة الواحدة متقدّمين ما وصلوا السّاعة الخامسة، وأناس خرجوا السّاعة الثّالثة وصلوا السّاعة الخامسة!

والأجر مكتوب للجميع، والميسّر هو ربّ العالمين. وقد ورد في الحديث: أنّه كما قال لعائشة -رضي الله عنها- أنّ أجرك: «عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ»[1] على قدر النّفقة والمشقّة - الحمد لله -

فالمقصد الآن: كن من الشّاكرين لربّ العالمين، كيف ستكون نسبة النّعمة إلى الله؟ أنت في حياتك تنسب النّعمة إلى الله: (الله المنّان الّذي يُعطي النّوال قبل السّؤال، الله الوهّاب الّذي يهب العبد) وهكذا؛ تبقى شاعرًا أنّ النّعمة من الله.

الآن نحن عندنا مجموعة أركان: تجعل العبد من الشّاكرين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٠٨).

هذه كلّها سنقول عنها علامات القبول، يعني: لأجل أن تعرف نفسك هل أنت تتقدّم على الصّراط المستقيم حين ترجع:

الأمر الأوّل: الاهتمام بزيادة الإيمان، يهمّك جدًّا زيادة الإيمان، يشغلك! يشغلك! النّاس، هؤلاء تشغلهم درجاتهم العلميّة، وهؤلاء تشغلهم التّجارة، وهؤلاء تشغلهم..؛ فالدّنيا كلّها لن نقول: لا! فيها، ولكن لا تكون تشغله؛ ولأجل ذلك نقول: (يا رب لا تجعل الدّنيا أكبر همّنا) اجعلها الهمّ الثّاني، ليس هناك مشكلة! فأرجع إلى بلدي وهمّي زيادة الإيمان، بين قوسين: (الطّمع في معرفة الرّحمن)، يعني: نريد كلّ يوم يزيد علينا، تزيد معرفتنا بربّنا، فلا أموت إلّا وقد عرفت أسماءه الحسنى، فأعرف كيف أُجيب، وليس أن أحفظها! لا! وإنّما أعرف أنّه مؤمن -سبحانه وتعالى-، مصدّق ما وعد عباده -سبحانه وتعالى-، مؤمّن لعباده من المخاوف في دنياهم، مؤمّن للمؤمنين في الآخرة من العذاب؛ ولذلك: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[١]، تقول لربّنا: (أنا لا أريد أن أموت إلّا بعد أن أعرفك!)؛ لأنّ هذه جنّة أهل الإيمان، أنّهم: يعرفون الرّحمن، والّذي يذوقها؛ لا يشعر بعد ذلك أنّه هناك جنّة غير هذه الجنّة في الدّنيا! **فهذا الأمر الأوّل:** أنّك ترجع وبوصلتك تتّجه على هذه الجهة: أن تهتمّ بزيادة الإيمان، وبمكانتك عند الله.

---

(١) الأنبياء: ١٠٣.

الأمر الثّاني: الرّضا عن الله، وطلب رضاه، يكون الّذي شاغلك ماذا؟ أنت راضٍ، والّذي شاغلك رضا الله: (أنّه هو يرضى! فقط أن ترضى عنّي أنت!)؛ ولذلك يُنادَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[1]؛ **فهذا هو الطّريق:** ارضَ عن الله، واطلب رضاه.

يأتينا الأمر الثّالث: الّذي يحاربك الشّيطان دائمًا فيه، **وهو:** أن تكون من الشّاكرين، أن تكون شاكرًا.

سنبدأ الآن في خمسة نقاط تحت هذه النّقطة الثّالثة الّتي هي: كيف أكون شاكرًا؟

فإذًا: خمسة نقاط يظهر فيها الشّكر:

النّقطة الأولى: نسبة النّعمة إلى الله وحده لا شريك له: هي المهمّة جدًّا، **وهي:** نسبة النّعمة إلى الله وحده لا شريك له.

انظروا: (وحده لا شريك له) هذه ضروريّة، يعني: لا تشركي وقتما تتكلّمين عن النّعمة مع الله أحدًا! (وفلان! وفلان!)! ولا (ثمّ)! لا تحسبي أنّ (ثمّ) تحلّ المشكلة؛ (ثمّ) لا تحلّ المشكلة! يعني: (لولا الله، ثمّ فلان!)، اسمعن: هذه في الحكم الشّرعي ما فيها شرك، لكن في حكم الشّاكرين مسألتها مختلفة! الشّاكرين هؤلاء لا يذكرون إلّا ربّ العالمين!

---

(١) الفجر: ٢٧_٣٠.

وقد فهمنا في الهامش: أنّ هذا ليس معناه أنّك لا تشكر النّاس؛ اشكرهم بطرف لسانك، وعندما تواجههم، قل: (الحمد لله ربّ العالمين) فقط. لكن غير هذا؛ فإنّ: (ربّنا حملك، ربّنا أعطاك، ربّنا رزقك، ربّنا وفّقك، ربّنا حفظك، ربّنا أعانك)؛ كلّ الأشياء من فعله، فأنت تعلّق به.

فأوّل الشّكر: نسبة النّعمة إلى الله؛ المنّان الّذي أعطى النّوال بغير سؤال، الوهّاب الّذي وهبنا. والله الإعانة على الدّعاء، من كان سيساعدك عليه؟! وحدها نعمة! يعني: الحملة لو أكّلتك، وشرّبتك، وحملتك، وأعطتك، وفعلت لك، كذلك ستجعلك تدعي؟! لا! وأصلًا فإنّ المكسب في هذا كلّه أنّ يوم لقاء الملك، يوم عرفة؛ رفعت يديك متذلّلًا، كسيرًا، فدعوت ربّ العالمين، فقبل منك؛ وهذا ستجدينه في الحملة الّتي تأكلين وتشربين فيها، وسيلقاها الّذي في الشّارع أيضًا؛ **فكلّ القصّة:** هل قدرت على أن تجمع قلبك، وتدعو ربّك؟ ولا يستطيع أحد أن يشقّ عن قلبك، ويشرح صدرك لأجل أن تدعي؛ فالمنّة في النهاية في هذا الحجّ من ربّ العالمين. وهناك غير هذا في الحياة كلّها. (وحده لا شريك له)، لكن الاختبار دائمًا في الدّنيا أنّ النّعم تأتي من وراء النّاس؛ هذا هو الاختبار! لا تأتي النّعم من السّماء! لا! وإنّما تأتي من وراء النّاس، والاختبار يكون بأن تُبعد النّاس عن النّعمة واعرف من الّذي أعطاك على الحقيقة؛ هذا هو الاختبار الّذي نفشل فيه!

أنتم **مثلا:** في التّطبّب، أليس النّاس كلّ يوم يسمعون عن الأخطاء الطّبّية؟! طيّب، الّذي وُفق وما أخطأ، من الّذي جعله يُوَفَّق وما يُخطئ؟

اللهِ! يعني هذا الطّبيب، إنسان يغفل، بدلًا من أن يعطيك كذا من الجرامات؛ يعطيك كذا من الملّيجرامات! ويُخطئ، وبدلًا من أن يكون علاجًا يصير مصيبة! لكن نحن متوكّلون على الله، الله الّذي يعاملنا في الحقيقة، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾[1]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾[2]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾[3]، كلّها تقول لك: الله الّذي أعطاك؛ **فأوّل الشّكر**: نسبة النّعمة إلى الله.

وما أصعبها وأحرجها في مواقف تكون النّعمة من النّاس مباشرة! يعني: هناك نِعَمٌ ليس لأحد فيها يد؛ هذه سهلة في نسبتها إلى الله، لكن هناك نِعَمٌ أنت فيها! دائما مثلما تقول: (أنا ذكي! وفهيم! ونجحت لأجل أنّني فهيم وذكي!) ولأجل ذلك في الدّعاء، في أذكار الصّباح والمساء: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ»[4]، وفي رواية أحمد: «إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي ، تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ»، يعني: إذَا أنا على نفسي؛ سأجلب لي هذه المصائب! «تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ»[5]. فهذا أوّل الشّكر: نسبة النّعمة إلى الله؛ وهذا لابدّ أن نقوّيه دائمًا.

انظروا: هذا رقم واحد، **ودعونا نقول**: رقم خمسة، وبعد ذلك سيظهر بينهم المعنى؛ لأجل أنّ رقم واحد وخمسة بينهما صلة:

---

(١) الواقعة: ٦٣.

(٢) الواقعة: ٦٨.

(٣) الواقعة: ٧١.

(٤) حسّنه الألباني.

(٥) رواه أحمد (٢١٢٠٥).

واحد: أنت لا تنسب النّعمة إلّا إلى الله.

النّقطة الخامسة: لا تصاحب إلّا الشّاكرين: خمسة: لا تصاحب إلّا الشّاكرين، يعني: لا تصاحب الكافرين، والمنتقدين؛ لأنّها عدوى مباشرة عدوى! ومباشرة أنت تشكر، وتقول: (ربّنا الّذي أعطى)، وهو يقول لك: (كن واقعيًّا! كن عقلانيًّا! كن كذا!).

هذه النّفسيّة تُتعب! ثمّ إنّها تعديك! يعني تتعلّم وسائل شيطانيّة! أنت ترضى الحمد لله بعطيّة الله، وهو غير راضٍ فيبثّ فيك هذه المشاعر!

فإذًا: هذه واحد، وهذه خمسة، سنرى الآن في الوسط ماذا سنفعل؟

النّقطة الثّانية: أظهر شكرك بطاعة الله بالطّاعات وكثرة الذّكر:

إذًا وحّدت الله بالشّكر، أظهر شكرك بطاعة الله، بالطّاعات وكثرة الذّكر، يعني: الشّكر يظهر بالطّاعة وخاصّة بكثرة الذّكر، ونحن الحمد لله، لساننا تعوّد على التّكبير وعلى.. فأنت أعط لنفسك فرصة، ولا تُسكت نفسك! وإنّما اذكر، وصلِّ على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وسبّح، وكبّر، وهلّل؛ ما أطيب هذا اللّسان: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1].

إذًا معنى ذلك: أنّ الطّاعات أحد الإشارات؛ ستعترف أنّ النّعمة لله، وبعد ذلك ستكون: صلاتك، وعبادتك، وذكرك؛ نوع من أنواع الشّكر؛

(١) الحج: ٢٤.

ولابدّ أن نفهم هذا: لابدّ أن نفهم أنّ الله هو المنعم، ولذلك شكره بطاعته، لا يوجد أحد أنعم عليك إلّا الله، فصلاتك شكر، وصيامك شكر، وصدقتك شكر، وذكرك شكر، فيُعبّر عن الشّكر بماذا؟ بالطّاعات؛ وأعظمها الذّكر.

مرّة أخرى: اتّفقنا

- **الأمر الأول:** انسب النّعمة إلى الله، ووحّد الله بها.
- **والأمر الثّاني:** أطع الله، واعلم أنّ طاعتك شكر لنعمة الله.
- **والأمر الثالث:** لا تصاحب إلّا الشّاكرين، لا تصاحب المنتقدين، والكافرين.

النّقطة الثّالثة: كثرة التّوبة والاستغفار عن الخطأ والزّلل الّذي لابدّ لابن آدم منه: نأتي للمسألة الثّالثة: كثرة التّوبة والاستغفار عن الخطأ والزّلل الّذي لابدّ لابن آدم منه؛ وجه من وجوه الشّكر، يعني: طوال الوقت أنت شاكر نعمائه، وتتوب وتستغفر حين تخطئ في حقّه، **وهذا مثل حين:** كيف أنّك دائمًا من المفترض أن الّذي أنعم عليك لابدّ أن تكوني معه مؤدّبة، وما تخطئي في حقّه؛ فالله ربّ العالمين هو الّذي أنعم على الخلق، و«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1]، فهذا التّوّاب إنّما يشكر ربّه بكثرة التّوبة والاستغفار.

---

(١) حسّنه الألباني.

إذًا: الشّاكر معترف أنّ النّعمة نعمة الله، ويطيع الله ويعبده ويكثر من ذكره شكرًا لله، ويتوب ويستغفر لأجل أن يبقى ما بينه وبين الله عامرًا.

النّقطة الرّابعة: الثّقة فيما عند الله، والتّوكّل على الله: الثّقة فيما عند الله، والتّوكّل على الله، يعني: لأجل أن تكون شاكرًا السّابق، ثق في المستقبل، وتوكّل على الله. دعونا نضرب مثالًا: الآن الشّهر الماضي في آخره قُدر علينا رزقنا وما كان عندنا...، وبعد ذلك ربّنا رزقنا من حيث لا نحتسب، فقلنا -دعونا نمشي بالتّرتيب- قلنا: (إنّ النّعمة من عند الله، وأطعنا الله، وسجدنا، وذكرنا الله، وشكرنا، واستحينا من ربّنا على الذّنوب، نحن مذنبون ومع ذلك يُعطينا، فتبنا إليه.

جاء الشّهر الثّاني -جاءت هذه الوظيفة الرّابعة- جاء الشّهر الثّاني ودخلنا في مشكلة تشبه مشكلة الشّهر الماضي، نبدأ نتوتّر! نقول: لا، لا تتوتّر؛ هذه المرّة زد إقبالًا على الله وكن واثقًا أنّ الّذي أخرجك أوّلًا، سيخرّجك ثانيًا، يعني: هنا ليس المقصود أن تصير باردًا وتقول: (لا! لا! أنا متأكّد) لا! لا! ليس هذا المقصود؛ المقصود أن تزداد إيمانًا، وتزداد توكّلًا، وتظهر لربّنا: (أنّه أنا متأكّد أنّك أنت لن تتركني، لن تتركني، وأنا معتمد عليك، ومثلما نجّيتني أوّلًا نجّني ثانيًا، ومثلما أكرمتني أوّلًا أكرمني ثانيًا).

فصار الشّكر: أنّك لا تأتي المرّة الأخرى حين تدخل في مشكلة مثل المشكلة الأولى، أو شكل آخر من المشاكل تنسى وتكفر أنّه قد نجّاك

سابقًا، وقد أعطاك سابقًا. يعني: الآن لابدّ أن تصير ذاكرتك قويّة جدًّا، جدًّا، جدًّا، تجاه عطايا الله، لا تنسى: أنّه هو الّذي نجّاك أوّلًا.

ولأجل ذلك انظروا: فإنّه دائمًا هناك ثقافة خصوصًا مع وجود الوظائف، ووجود الرّواتب، هناك ثقافة تقول: (دعوني أهيّئ لنفسي مستقبلي فأولادي غدًا يرمونني! ولا ينتبهون لي! وفلان أولاده رموه! وعلاّن أولاده رموه!)! فطوال الوقت نفكّر في مستقبلي، ومستقبلي وأنا سأذهب إلى القبر! ومستقبلي وأنا أكبر في السّنّ، لكن لا أريد أن أكون ثقيلة على النّاس، وأبقى أفكّر وأفكّر في هذا!!

اسمعوا: الّذي آواك أوّلًا، وأخرجك من بطن أمّك سالمًا، وعلّمك، وأكرمك، ووفّقك؛ هو الّذي في النّهاية سيعتني بك، لكن أنت لا تحمل همًّا! وإنّما:

- احمل همّ حين تدخل القبر من يكون أنيسك؟
- احمل همّ حين تخرج من القبر من سيستقبلك؟
- احمل همّ حين تمشي في الصّراط ماذا ستكون سرعتك؟
- احمل همّ حين يتقاسم الناس المنازل في الجنّة ما هي منزلتك؟

فقط هذا الّذي تحمل همّه! أمّا غدًا فالله هو الّذي يحفظك، ويرعاك، ويعطيك. هل هذا يعني لا نخطّط؟! ولا نفعل؟! هذا الكلام ليس له علاقة بالتّخطيط، هذا الكلام له علاقة بالهموم: أنام على هذا الهمّ، كلّما أخلوا أفكّر في هذا الهمّ، وكلّما أخطّط يكون كلّ تفكيري: (أني

لا أريد أن أُرمى! لا أريد أن أُرمى!) وفي النّهاية يصير عندك مال وبيت وكلّ شيء، لكن الوحشة تكاد تقتلك! فليس هذا ما كنت تبتغيه! فأنت ثق بالله كما أعطاك، وآواك، وكساك، اطلبه: (أن يحسن لك الخاتمة، وأن يرعاك، وأن يجمع بينك وبين أحبابك، وأن لا يتركك)، اسأله، اسأله، اسأله؛ فإنّ يده «سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١) لو اجتمع أهل الأرض كلّهم على صعيد واحد، وطلبوا فأعطاهم، ما تمنّوا وفوق ما تمنّوا؛ ما نقص من ملكه «إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»(٢) ثمّ خرج! إبرة تدخل وتخرج ما الّذي ينقص في ملك الله؟! فالطّمع في الله.

إذًا معنى ذلك: الشّاكر يحتفظ بذاكرة قويّة، قويّة جدًّا للفرج السّابق؛ يحتفظ بذاكرة قويّة تطيّب له الآتي من الحياة، وتجعله المرّة القادمة يتوكّل على الله، ويعتمد على الله، ويعرف أنّ الّذي يتوكّل على الله ما يخذله الله.

لا تخرج من الحجّ و أنت ما عرفت الله! لا ترجعوا لدياركم وما زادت الثّقة في الله! لا ترجعوا إلى دياركم وما يكون في قلوبكم زيادة تعلّق بالله، واعتماد على الله، ولا ترجعوا وأنتم ما فهمتم معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(٣)؟ الّذي أصمد إليه في كلّ حاجة كانت صغيرة أو كبيرة، أوّل ما أحتاج؛ أوّل الفزع للصّمد -سبحانه وتعالى-، أصمد إليه فهو الرّكن الشّديد، أصمد إليه فهو السّميع البصير، أصمد إليه فهو

(١) أخرجه البخاري (٧٠١٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٨٠).
(٣) الإخلاص: ١_٢.

الكريم، الواسع، خزائنه ملأى، يده سحّاء، أثق فيه ثقة تامّة عمياء، لا أحتاج في ذلك أنّي أسأل عنه أحد! لابدّ أن نرجع وقد زدنا إيمانًا واتّجهت قلوبنا كما تتّجه أبداننا إلى القبلة؛ تتّجه قلوبنا إلى السّماء، فتكون ذاك العبد المحفوظ قلبه في السّماء.

أسأل الله -عزّ وجلّ- لي، ولكم، ولذرّياتي، ولذرّيّتكم، ولذرّيّة المسلمين جميعًا التّوحيد والإيمان وزيادته، وأن نكون من أهل الجنان، وأن نكون ممّن تلقّتهم ملائكة الرّحمة في وقت قبضهم، فبشّرتهم، ثمّ آنستهم أعمالهم الصّالحة في قبورهم، ثمّ خرجوا فتلقّتهم الملائكة، ووعدهم ربّهم ألّا يحزنون فما حزنوا، ثمّ كان حسابهم يسيرًا، فساروا على الصّراط مسرعين، وتقاسموا أعالي جنّات النّعيم، اللّهمّ آمين، لي، ولذرّيّتي، ولوالديّ، ولوالديكم، ولذرّياتكم، وللمسلمين جميعًا، اللّهمّ آمين.

جزاكم الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته